دراسات الأدب المعاصر، السنة العاشرة، خريف ۱۳۹۷، العدد التاسع والثلاثون: صص **۲۳**- **۴۳**

دراسة نقدية حول دور المستشرقين فی رفض قضية الإعراب فی اللغة العربية

احمد الباشا زانوس*

وحيد ميرزائی**

تاريخ الوصول: ۹۷/۲/۲۰

تاريخ القبول: ۹۷/۶/۱۰

الملخص

يعتبر الإعراب من أوضح خصائص اللغة العربية وأقدمها. إحتلت هذه القضية حيزاً كبيراً من الدراسات اللغوية والنحوية حتى يومنا هذا. حيث إنّ هذه الظاهرة لم تغب عن دراسات الباحثين الغربيين المعروفين بالمستشرقين، بل اهتموا بها وتناولوا دارسة جذورها مما أدّى إلى ظهور آراء متباينة حول هذه المسألة. ففريق منهم قاموا بإنكارها قائلين بأنّ الإعراب لم يكن فی العربية، بل من صنع النحاة. وفريق آخر إعترف بأصالتها ووجودها فی هذه اللغة. فعلى هذا الأساس، فقد وقفنا فی هذا البحث على آراء المستشرقين الذين يذهبون بإنكار الإعراب فكان لهم التأثير البالغ فی آراء اللغويين العرب وأحكامهم. ثمّ أردفنا على إثره الدلائل التی أوردها المستشرقون المقتصدون واللغويون العرب المحدثون فی توطيد آرائهم وإحكامها. ومع كل الجهود التی وقفت حول إنكار هذه القضية، إلا أنّها باءت بالفشل. والدراسات الجذرية التی قام بها الباحثون أبطلت آراء المنكرين واثبتت وجود ظاهرة الإعراب فی اللغة العربية بأنّها ذات كيان إعرابی منذ نشأته. وقد إعتمدنا فی هذا المقال على المنهج الوصفی- التحليلی.

الكلمات الدليلية: الإعراب، المستشرقون، اللغويون، النحاة.

* أستاذ مشارک بجامعة الإمام الخمينی(ره) الدولية، قزوين، ايران. ahmad_pasha95@yahoo.com

** طالب الدكتوراه بجامعة الإمام الخمينی(ره) الدولية، قزوين، ايران. mvahid1366@yahoo.com

الكاتب المسؤول: وحيد ميرزائی

المقدمة

إزدادت العلاقات بين البلدان المختلفة مع نزول القرآن الكريم على النبی(ص). فدخل الناس فی الإسلام أفواجاً. وأدّی نزول القرآن باللغة العربية إلى أن ينظروا إليها من منظار التقديس والروحانيّة. وأثارت هذه النظرة، الغيرة على القرآن الكريم وصونه من التحريف على ألسنة الأعاجم، وكانت سبباً فی وضع قواعد النحو العربی. ورُوی أنّ *أبا الأسود الدؤلی* أوّل من وضع النحو. «فروی عن *المبرّد* أنّه قال: لما وضع *أبو الأسود الدؤلی* النحو، قال: إبغوا لی رجلاً، وليكن لَقِناً، فطُلب الرجل، فلم يوجد إلا فی عبد القيس، فقال *أبو الأسود*: إذا رأيتنی لفظت الحرف، فضممت شفتّی، فاجعل أمام الحرف نقطة، فإذا ضممت شفتی بغُنة، فاجعل نقطتين، فإذا رأيتنی قد كسرت شفتی، فاجعل أسفل الحرف نقطة، فإذا كسرت شفتی بغنة، فاجعل نقطتين، فإذا رأيتنی قد فتحت شفتی، فاجعل على الحرف نقطة، فإذا فتحت شفتی بغنة، فاجعل نقطتين. حتی جاء *الخليل بن أحمد*، فوضع الشكل الذی يكتب به حتی الآن»(الدانی، ١٩٩٧م: ٦-٧) وهذا لا يدلّ، أی ما صنعه الدؤلی، على أنه لم تكن العربية ذات إعراب ولا على أنه من نسجه، لأنّ حقيقة العربية إن لم تكن هكذا لما صدقت هذه الحركات عليها. ولقد أجمع جمهور النحاة واللغويين على أن اللغة العربية لغةً معربةً وكان النحاة يرؤون أنّ الإعراب وجد يوم نشأت العربية. ومن الأقوال التی تدّل على هذا، قول *الخليل بن أحمد*، فقد سئل عن العلّة: «عن العرب أخذتها أم أخترعتها من نفسک؟ فقال إنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام فی عقولها علله وإن لم ينقل ذلک عنها واعتلت أنا بما عندی»(الزجاجی، ١٩٨٢م: ۶۶).

يستدل من كلام *الخليل* أنّ هذه الظاهرة جزء من بنية اللغة العربية وليس شيئاً طارئاً عليها. وحتی الآراء التی جرت على لسان *قطرب* و*إبن مضاء القرطبی* بشأن الإعراب لا ينكر وجوده من اللغة العربية، وإبن مضاء لا يشكّ فی وجود الحركات الثلاث ولا ينكر أنّ المرفوع مرفوع بضمة أو غيرها ولكن ينكر أن يكون هذا الرفع بأثر أیّ عامل من العوامل. واضح أنّ الخلاف عند القدماء بشان الحركات لم يكن قطّ فی اثبات أو نفی وجودها ولكن فی حالات إعرابها. مهما يكن من أمر، فمنذ نشأة النحو حتی الآن شغلت الظاهرة الإعرابية حيزاً كبيراً من البحوث اللسانية والنحوية. إلى أن جاء القرنان الأخيران وأصبحت هذه

القضية من قبل الباحثين من أهم القضايا اللغوية التی اهتموا بدراستها فی كتاباتهم ومقالاتهم. ومن جانب آخر، ومع إزدياد بحوث العلماء الغربيين عن اللغات الشرقية علی وجه عام، واللغة العربية علی وجه خاص، أدّت إلی دارسة فقه اللغة العربية واللغات السامية، التی تعتبر اللغة العربية فرعاً من فروعها. هذه الدراسات حول اللغة السامية ومقارنتها مع اللغة العربية إنقسمت الباحثين الغربيين المستشرقين حيالها إلی فرقين متباينين. ودفعهم إلی آراء متباينة بينهم والتشكّک بأصالة الإعراب فی هذه اللغات. ففريق منهم يری أنّ الإعراب مجاذر للعربية بمعنی أنه يمتد معها حتی جذورها الأولی وأنها كانت معربة فی عصورها كافة(منهم *نولدكه* و*يوهان فک* و*بروكلمان*) وفريق آخر يری أنّ العربية لم تكن معربة يوماً من الأيام، بل الحركات الثلاث من صنع النحاة(منهم *فولرز* و*كاله* و*كوهين*). إلی جانب هذه الآراء المتباينة والمتضادة، لم يغفل اللغويون والنحاة العرب عن آراء المستشرقين، بل قاموا بدارسة هذه الظاهرة بشكل جيّد وإقامة البراهين والحج المتقنة فی إثباتها، ولكن الامر لا يختم هنا، بل آراء المستشرقين المنكرين للإعراب وأفكارهم بالطبع لا يخلو من تأثير علی اللغويين العرب. نحن فی هذا البحث نعالج إحدی الظواهر النحوية واللغوية الهامة وموقف المستشرقين من الحركات الإعرابية وتأثيرهم علی اللغويين والنحويين العرب المعاصرين.

أسئلة البحث

۱- هل لآراء المستشرقين الذين يذهبون إلی إنكار الإعراب، أساس علمی أم لا؟

۲- ما هی كيفية تعاطی اللغويين العرب مع آراء المستشرقين؟ وهل كان تأثيرهم هذا إيجابياً أم سلبياً؟

خلفية البحث

قضية الإعراب ودور المستشرقين وتباين آرائهم فی هذا المجال من المباحث الهامة التی شغلت بال كثير من اللغوين والنحويين ودرسوا فی كتاباتهم عنها. إذا نصفح الكتب فی مجال فقه اللغة نری أنّ هذه القضية قد وردت فی أكثرها، إلّا أنّنا يمكن أن نشير إلی أهم الدراسات التی تناولت هذه القضية من وجهة نظر المستشرقين، من خلال كتاب

«فصول فی فقه اللغة» *لرمضان عبد التواب* وکتابی «فقه اللغة العربیة وخصائصها» و«فصول فی فقه اللغة العربیة» *لإمیل بدیع یعقوب* وکتاب «فقه اللغة مناهله ومسائله» *لمحمد أسعد النادی*، وکتاب «اللغة الباسلة» *لفتحی جمعه*، وکتاب «الظواهر اللغویة فی التراث النحوی» *لعلی ابوالمکارم*، وکتاب «فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضایاه» *لمحمد بن ابراهیم الحمد*.

وأیضا یمکن أن نشیر إلی مقالات حول هذه المسألة، الأولی تحت عنوان «الإعراب ظاهرة جمالیة» *للدکتور عبد الحمید ابراهیم* التی صدرت فی مجلة مجمع اللغة العربیة الجزء السابع والخمسین، صفر ۱۴۰۶، صص ۱۵۹-۱۶۸. حیث تناول المؤلف جمالیة الإعراب وأنکر دور الإعراب فی وظیفتها الدلالیة واقتصر دورها فی تنغیم الجمل، والثانیة بعنوان «موقف القدماء والمحدثین من الحرکات الإعرابیة ودلالتها» *لسلام علی حسین المهداوی* الذی درس فیها دور الحرکات الإعرابیة فی معنی الکلمة حسب مکانتها فی الجملة وما نتطرق إلیه فی هذا البحث دراسة آراء المستشرقین مع أدلة لسانیة حول قضیة إثبات الإعراب.

الإعراب فی اللغة والمصطلح

الإعراب فی اللغة مصدر «أعرب» ومعنی أعرب أبان، یقال: أعرب الرجل عن حاجته، أی أبان عنها. وأعرب بمراده: أفصح به، وأعرب الاسم الاعجمی: نطق به علی منهاج العرب. وأعرب فی البیع: أعطی العربون(المعجم الوسیط، مادة "ع ر ب": ۵۹۱) أما فی الاصطلاح فقد أعطی الإعراب تعریفات عدة منها: «الإبانة عن المعانی بالألفاظ»(ابن جنی، لا تا: ۳۴) و«الحرکات المبنیة عن معانی اللغة»(الزجاجی، ۱۹۸۲م: ۸۱) و«أثر یجلبه العامل» (مصطفی، ۱۹۹۲م: ۲۲) و«تغیّر العلامة التی فی آخر اللفظ بسبب تغیّر العوامل الداخلة علیه وما یقتضیه کل عامل»(عباس، لا تا: ۷۴).

هذه التعاریف التی أوردناها رغم إنفراد کل واحد منها فی تعریف الإعراب إلا أنّها تتناول موضوعاً واحداً، هو أنّ للإعراب قیمة دلالیة تشیر إلی معان مختلفة. وأجمع جمهور النحاة واللغویین علی أنّ اللغة العربیة لغة معربة. وحتی الیوم، ومنذ نشأة علم النحو یُعدُّ الإعراب من المباحث الهامة التی لم تغفل عن أنظار النحاة واللغویین العرب،

الذين بذلوا جهدوهم فی كتابة كتبهم ومقالاتهم حول هذه الظاهرة اللغوية ايضاحاً لها وبياناً للمتعلمين.

أهميّة الإعراب وآراء النقّاد واللغويين

إذا أمعنا النظر بدراسة النحاة نرى أنّ اهتمامهم لمسألة الإعراب وأهميته يكون من أهم الموضوعات التی شغلت كتاباتهم كما يقول *الزجاجی* عن أهميته: «فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل فی الكلام فما الذی دعا اليه واحتيج اليه من أجله؟ فالجواب: أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعانی وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليها، ولم يكن فی صورها وابنيتها أدلة على هذه المعانی بل كانت مشتركة، جُعلت حركات الإعراب فيها تنتبی عن هذه المعانی، فقالوا: "ضرب زيد عمراً"، فدلوا برفع "زيد" على أن الفعل له، وبنصب "عمرو" على أن الفعل واقع به. وقالوا: "ضُرب زيدٌ"، فدلوا بتغيير اول الفعل ورفع "زيد" على أن الفعل ما لم يسمَّ فاعله وأن المفعول قد ناب منابه. وقالوا: "هذه غلام زيد"، فدلوا بخفض "زيد" على اضافة الغلام اليه»(الزجاجی، ١٩٨٢م: ٦٩؛ السيوطی، ١٩٨٤م: ٧٨) ويؤكد *إبن فارس*، أيضاً، كلام *الزجاجی* قائلاً: «فأما الإعراب فبه تميّز المعانی، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ وذلک أن قائلاً لو قال: "ما أحسن زيد" غير معرب، أو "ضرب عمر زيد" غير معرب، لم يوقف على مراده. فاذا قال: "ماأحسن زيداً" أو "ما أحسن زيدٍ" أو "ما أحسن زيدٌ"، أبان الإعراب عن المعنی الذی أراده. وللعرب فی ذلک ما ليس لغيرها؛ فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعانی»(ابن فارس، ١٩٩٧م: ٣٥).

ورغم إجماع النحاة واللغويين بوجود هذه القضية واهميتها، غير أنّنا نجد مشكلة عند بعض العلماء المتقدمين فی قضية الإعراب ونظرهم حيالها:

أول هولاء العلماء هو *الخليل بن أحمد الفراهيدی* الذی جاء على لسانه، قوله «إنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به»(سيبويه، لا تا:٣١) يعتقد بأنها نسبت اليه وليست من كلامه. وجاء بعده محمد بن *المستنير* تلميذ *سيبويه* الملقب *بقطرب*(المتوفی فی سنة ٢٠٦ق) الذی أيّد قول *الفراهيدی* كما نقل ذلک عنه *الزجاجی*. إذ يقول: «وإنما أعربت العرب كلامها، لأن الاسم فی حالة الوقف يلزمه

السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون- أيضاً- لكان يلزمه الإسكان فى الوقف والوصل وكانوا يبطّوون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريک جعلوا التحريک معاقباً للإسكان، ليعتدل الكلام. ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرک وساكن ومتحركين، ولم يجعلوا بين ساكنين فى حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم فى إجتماع الساكنين يبطّوون وفى كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة فى كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان»(الزجاجى، ١٩٨٢م: ٧٠؛ السيوطى، ١٩٨٤م: ٧٩).

يستنتج من كلام *قطرب* أنّ وجود الحركات الثلاث تكون للسرعة فى الكلام والتخلص من إلتقاء الساكنين عند إتصال الكلام وليست لها قيمة دلالية. والجدير بالذكر، أنّ الخلاف بين القدماء حول قضية الحركات لم يكن قطّ فى اثبات وجودها أو نفيها، ولكن فى حالات إعرابها. ولم ينكر *قطرب* وجود الحركات الثلاث الضمة والكسرة والفتحة، بل يرى أنّ هذه الحركات ليست لهم ذات أثر ولا دلالة على معانى. وهو يخبط خبط عشواء فى رأيه هذا وانتبه إلى جانب القضية وغفل عن جانب أخرى.

وقد رأى الباحثون المحدثون «أنّ *قطرباً* قد صدر فى رأيه هذا عن ضغينة، فهو مولى اشتغل بعلم العربية، وكان مع معرفته بالعربية، وهى مقياس مهم جداً فى تسنم الوظائف، فقيراً معدماً وذا ضُرّ ظاهر، وكان فى حال سيئة، وأمر مختل، ومعيشة ضيقة، وكثرة عيال، ما ألجاه إلى التمحل والإحتيال، ولم تُتح له فرصة الصعود الاجتماعى بسبب أصله الوضيع، وبسبب انصرافه الدائم أو شبه الدائم وراء الرغيف، ليصلح أمر عياله، ويتمحل ويحتال، فنقم ضمنا على العرب الذين قال بعض معاصريه منهم فيه: «وراءه حال يخفيها عنا، ويطويها منا»(النادى، ٢٠٠٨م: ٣٣٥) ولكن يرى *الدكتور رمضان عبد التواب* أنّ *قطرباً* أوّل من ذهب هذا المذهب ولم يتابعه عليه غيره من اللغويين أو النحويين. وهو لم يذكر قول *الفراهيدى* الذى مسبقاً انّ الحركات الثلاث زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به.

وجاء بعد *قطرب*، *إبن مضاء القرطبى الأندلسى* وقد ألّف كتاباً سماه «الردّ على النحاة» وهو فى كتابه هذا حريصاً على إنكار العوامل اللفظية وردّها. *إبن مضاء ظاهرى* المذهب والظاهريون يوقفون عند ظاهر النص ويرفضون القياس. هذه العوامل دفعته إلى أن ينكر دور العوامل النحوية فى تشكيل الإعراب فى أواخر الكلمات وإفادة المعانى. وقال عن

الحركات الإعرابية: «إن هذه الأصوات هی من فعل الله تعالی، وإنما نسب إلی الانسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الإختيارية»(ابن مضاء، ٢٠٠٧م: ١٢).

إبن مضاء يعتبر الحركات الثلاث جزءً من بنية الكلمة ولا ينكر وجود هذه الحركات فی اللغة العربية، بل يستدل من كلامه: «انّ الحركات الإعرابية مسألة توقيفية كما أنّ اللغة نفسها مسألة توقيفية، فهی ليست من صنع الإنسان وإن كانت تجری علی لسانه. وهذا يعنی عندما خلق الله- عزّ شأنه- اللغة جعل الفاعل مرفوعاً والمفعول به منصوباً، بما لا يصح أن يقال: إنّ الرفع أو النصب كانا بسبب عامل من العوامل اللفظية أو المعنوية» (إستتيه، ٢٠١٣م: ٣٧). ولما كانت حركات الإعراب توقيفية فی رأيه بالطبع أنه يرفض التقدير والتأويل.

مهما يكن من أمر، فإنّ *قطرباً* فتح باباً واسعاً لمن أراد التحامل علی العربية. وإن لم يكن يقصد ذلک. ومذهبه صار منسياً وغاب عن الدرس النحوی رأيه، إلی أن كثرت العلاقات مع الغرب بعد مضی ألف سنة، وأدی التعرف وإقامة العلاقات بين العرب والغرب إلی الازدهار العلمی وإزدياد الدراسات والأبحاث الغربية حول الشرق عامة والعرب خاصة، وشملت كل المجالات فی الآداب، والتقاليد، والاخلاق، والدين واللغة. وأدت الدراسات التی قام بها علماء الغرب فی اللغة العربية إلی اهتمام اللغويين والنحاة العرب بدراسة لغتهم وأدبهم بشكل عميق. وأيضاً من إحدی القضايا اللسانية التی أثارت الخلاف والصراعات بين المستشرقين من جانب وبين اللغويين والنحاة من جانب آخر، هی قضية الإعراب فی اللغة العربية. وقد ذهبوا مذاهب شتی فی شأن الإعراب ونشأته، واختلفوا حول إصالته أهو عميق الجذور فيها أم أنه طاری عليها؟ وتتعرض اللغة العربية للنقد من جانب عدد من الباحثين الغربيين، الذين لم يخلو تأثيرهم علی اللغويين العرب.

المستشرقون وقضية الإعراب

إحتلت ظاهرة الإستشراق مكانة هامة فی العالم العربی والإسلامی. واهتم العالم الغربی بدراسة الشرق عموماً والعالم العربی علی وجه الخصوص. الإستشراق يعنی معرفة الشرق، وبتعبير موجز: «دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته»(الصغير، ١٩٩٩م: ١١). تناول

المستشرقون إلى جانب القضايا الدينية والإسلامية، دراسات الادبية واللغوية. والتعرف على أمة وثقافتها تتطلب العلم بلغتها. لأن اللغة هوية الشعب وحضارته و«لو أضاعت أمة لسانها، لفقدت طبعاً تاريخ وجودها وتراث حضارتها. لأنّ لسان الامة هو جزءٌ من عقليتها ومستودع أفكارها، وقلّما تعرضت أمة إلى مثل ما تعرضت إليه اللغة العربية، التى عدّها كبار الأعلام من أقوى عوامل التجانس والوحدة والتى جعلت الناطقين بها كتلة بشرية متماسكة وقوة متراصة، لها قواعدها واصولها، وأصبحت رابطة وحّدت رغبات أفرادها وبلورت مطامح أبنائها، وزرعت اول بذرة قومية»(معاليقى،١٩٩٧م: ۴٣) والدراسات المستشرقين اللسانية حول اللغة العربية واصولها وقواعدها عموماً وقضية الإعراب خصوصاً، أدّى إلى آراء متباينة فى أصالة هذه القضية وشككوا فيها أهى موجودة فى اللغة السامية الأم أم أنه من صنع النحاة وليس لها وجود فى العربية؟

على أساس هذه الدراسات التى قام بها المستشرقون فى شأن الإعراب نحن نرى قسمين منهم: قسم ينكر وجود الإعراب وقسم آخر يثبت إصالته فى هذه اللغة. ذى بدء نقوم بآراء المستشرقين المنكرين ودعاويهم حول هذه القضية ثم نردّ على آرائهم بأنّ الإعراب كشكله اليومى لم يكن فى اللغة العربية الأم ولكن أدلة وقرائن موثقة تخبر بوجوده فى اللغة السامية الأم، التى ورثته اللغة العربية منها.

المستشرقون المنكرون للإعراب

بإمكاننا أن نذكر المستشرقين الذين يرؤن أنّ الإعراب ظاهرة مزيفة فى اللغة العربية وليس لها اساس، بل هى من صنع النحاة:

١. كارل فولرز(Karl Vollers)

هو مستشرق نمساوى وخليفة شبيتا على المكتبة الخديوية بمصر (١٨٨۶) واستاذ اللغات الشرقية بجامعة فييا(١٨٩۶)(العقيقى، ١٩۶۵م: ۶٣٣). وهو من المستشرقين الذين شكّكوا فى اللغة العربية الفصحى وخاصة فى أهم خصائصها وهو الإعراب. وذلک فى كتابه «اللغة العربية الشعبية واللغة الادبية فى الجزيرة العربية القديمة». وهو من أشد الحاقدين على العربية. وخلاصة رأيه يتمثل فيما يلى:

أ- يرى أنّ فكرة النحو كانت مصنوعة وأنّه ليس موجوداً فی العربية الجاهلية وإنّما صيغت بعد ذلک.

ب- يرى أنّ النص الاصلی القرآنی قد كتب بإحدی اللهجات الشعبية السائدة فی الحجاز.

ج- يرى أنّه لا يوجد فی اللهجات السائدة ما يسمی بالإعراب.

د- ينكر علی الاطلاق أن تكون هذه اللغة حيّة فی مكة علی عهد النبی.

ه- يشكّ فی أن يكون الذين من بينهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة(الحمد، ٢٠٠٥م: ٤١٥-٤١٦؛ عبدالتواب، ١٩٩٩م: ٣٣٧). هذه آراء *فولرز* حول قضية الإعراب وهو لم يكن منفرداً فيها بل ذهب مذهبه مستشرق آخر وهو *كاله* الذی نأتی هنا بآرائه.

٢. باول كاله(Kahle Ernst Paul)

مستشرق ألمانی اختص بتحقيق النص العبری للكتاب المقدس. تخرج باللغات الشرقية من جامعات ماربورج وهاله وبرلين. فأسّس بالقاهرة مدرسة(العقيقی، ١٩٦٥م: ٧٨٩) وعقد فی كتابه «الذخائر القاهرية» فصلا عنوانه «نص القرآن العربی» يقول فيه: «جمع نص القرآن، بعد وفاة النبی، بمدة وجيزة فی عام ٦٣٢م، وأخذ شكله النهائی فی عهد الخليفة الثالث *عثمان بن عفان*(٦٤٤-٦٥٥)، وهناک قامت مشكلة كيف يقرأ هذا النص ويرتل؟ فقد ولد محمد*(ص)* وانحدر- كمعظم مواطنيه- من القبيلة العربية(قريش). وكانت اللغة العربية التی يتكلمها، هی لغة المواطن المثقف فی مكة. والنص القرآنی الخالی من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية، التی كانت تتكلم فی مكة(عبد التواب، ١٩٩٩م: ٣٧٨-٣٧٩).

ويردّ محمد *أسعد النادی* علی *كاله* وضالّته حول الإعراب: «ويظن هذا المستشرق- بسطحية ثقافية اللغوية العربية- أنّه عثر علی ضالّته المنشودة لإثبات أنّ القرآن الكريم لم يكن معرباً أول الامر، وأنّ الإعراب طرأ عليه فی مرحلة لاحقة، عندما عثر فی إحدی المخطوطات علی قول منسوب إلی *أبی* بكر: «إنّ إعراب القرآن لأحبُّ إلیّ من حفظ بعض حروفه»، وقول منسوب إلی الصحابی *عبد الله بن* مسعود: «جوّدوا القرآن، وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه فإنّه عربی، والله يحب أن يعرب»(المصدر نفسه: ٣٣٧). ثم *كاله* يستنتج

أنّ «الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً إلّا إذا كان يقرأ فى الواقع بدون إعراب، وأريدَ له أن يقرأ بالإعراب الذى عُدَّ فى وقت متأخر من مظاهر الصحة اللغوية»(النادى، ٢٠٠٨م: ٣٣٧؛ عبد التواب، ١٩٩٩م: ٣٨٠).

ويقول *رمضان عبد التواب* إن *كاله* مخطئ فى استنتاج ذلک: «لأنّ الإعراب بمعناه الاصطلاحى، لم يكن معروفاً فى ايام *أبى بكر وابن مسعود*. ومعنى كلمة: "إعراب القرآن" فى هذه الأحاديث- إن لم يكن مزيفة- هو الوضوح والبيان فى قراءة القرآن الكريم» (عبد التواب، ١٩٩٩م: ٣٨٠).

٣. مارسل كوهين(Cohen.M)

هو مستشرق فرنسى وعالم لغوى من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا فى باريس(العقيقى، ١٩٦٥م: ٢٩٦) وله كتاب عنوانه «لغات العالم». هذا الرجل لما درس العربية وجد أنّ الشعر العربى لا يمكن أن يقوم إلا على قواعد إعرابية، فخرج من ذلک بنتيجة يقول فيها: «إن قواعد الشعر تقوم على الإعراب ولابد من ذلک. أما النثر فمن الصعوبة بمكان القواعد فيه»(الحمد، ٢٠٠٥م: ٤١٦). «وهو لا ينكر وجود الإعراب فى اللغة الأدبية، لغة الشعر والخطابة والنثر، فى الجاهلية والإسلام، غير أنّه استبعد مراعاة قواعد الإعراب فى لهجات الحديث، مستدلاً على هذا الرأى بأدلة كثيرة أهمها اثنان: الأولى: تجرد جميع اللهجات العامية الحديثة المتفرعة من العربية، والتى تستخدم الآن فى الحجاز، ونجد، واليمن، والعراق، والشام، وبلاد المغرب العربى من آثار الإعراب وقوانينه. والثانى: تشعّب قواعد الإعراب، ودقّتها، وصعوبة تطبيقها، وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض، الأمر الذى لا يعقل معه أن تكون مراعاة فى لهجات الحديث، لأن هذه اللهجات تميل إلى السهولة، وتسلک أقرب الطرق إلى التعبير»(النادى، ٢٠٠٨م: ٣٣٧-٣٣٨).

ويردّ *الدكتور صبحى الصالح* على دليلى *كوهين*، ويقول: «ولم تبد لنا هاتان الملاحظتان فاسدتين إلا لأن الوقائع والوثائق تكذبهما قديما وحديثا. فليست دقة الإعراب بمانعة أحداً من التخاطب بلغة معربة، فهذه اللاتينية فى العصور القديمة، والألمانية فى العصر الحاضر، يشتمل كل منهما على قواعد وإعراب، ربما لا يقل فى دقته وتنوعه عن

قواعد العربية الفصحى، ومع ذلک لا تزال الألمانية لغة تخاطب بين الألمان، وظلت اللاتينية مدة طويلة لغة تخاطب بين الرومان. ويروى أحد الرحالة الإنكليز(فی القرن التاسع عشر الميلادی) أنّه سمع الحركات الإعرابية تلتزم فی وسط الجزيرة علی ألسنة الناس فی المدن. ولم تتجرد اللهجات العربية الحديثة كلها من آثار الإعراب، فما تبرح هذه الآثار ظاهرة فی أقوال البداة فی مواطن متفرقة من العالم العربی، كأنها تجميد لبقايا يستحيل عليها العدم التام، والإضمحلال المطلق، أو كأن طبيعة هذه اللغة تأبى عليها أن تفقد ظاهرة الإعراب إلى الأبد»(الصالح، ٢٠٠٩م: ١٢٥).

لا يمكن القول بأن هولاء المستشرقين كانوا غافلين عن رأی قطرب، بل تلقفوا آراءه وحذوا حذوه فی أنّ الحركات الثلاث لا وظيفة لها إلا التخلص من التقاء الساكنين ووصل الكلام. وجعلوا رأی قطرب اساساً فی دراساتهم ومطالعاتهم للغة العربية واصولها. وعمدوا إلى انكار الإعراب وتركوا جانب البحث العلمی. مع هذا كله لم يكن المستشرقون علی منهج واحد فی دراساتهم وبحوثهم عن اللغة العربية، بل كان منهم الموضوعيون، الذين احتكموا إلى علمهم، فلم يقعوا فی ما وقع فيه اولئک من الافتراء علی القرآن الكريم واللغة العربية. وفندوا أقاويلهم ودافعوا عن أصالة الإعراب بشكل علمی وموثق.

المستشرقون المنصفون للإعراب

من أبرز هولاء المستشرقين الذين قاموا بدراسة اللغة العربية بدون أی التوجهات العنصرية والدينية فهم:

١. تيودور نولدكه(Theodor Noldeke)

يُعدُّ شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع. وقد أتاح له اتقانه التام لثلاث من اللغات السامية(العربية، والسريانية، والعبرية)(بدوی، ١٩٩٣م: ٥٩٥) وفيه جانب من الانصاف. يقول *الدكتور عبد التواب* بعد أن ساق رأی *فولرز* و*كاله*: «وإذا كان هذان المستشرقان: *فوللرز* و*كاله*، يريان هذا الرأی الغريب فی العربية الفصحى والإعراب، فإن كثيرا من المستشرقين قد دافعوا عن أصالة الإعراب فی العربية، مثل *نولدكه* الذی يری فی مقالة له بعنوان «ملاحظات علی لغة العرب القدامی»: «من الخطأ الشنيع، الاعتقاد بأنّ اللغة الحية

فی عهد *النبی محمد(ص)*، لم یکن فیها إعراب؛ فإن العلماء فی عصر *هارون الرشید*، قد وجدوا الإعراب بکل دقائقه لدی البدو. ولکن ظاهرة الوقف الشائعة کثیراً فی الحدیث الیومی، قد عودت الأذن علی سماع الصیغ الخالیة من الإعراب، فاستطاع أحد الشعراء استخدامها، عند إتصال الکلام کذلک، وعلی الأخص فی صیغة المضارع، التی لا تتلاءم کثیرا مع وزن الشعر»(عبد التواب، ۱۹۹۹م: ۳۸۱؛ النادی، ۲۰۰۸م: ۳۳۹). کما یری *نولدکه* فی الفصل الذی کتبه عن «لغة القرآن» فی کتابه: «مقالات جدیدة فی علم اللغات السامیة» أنّه «لو کان النبی أو أحد معاصریه من المؤمنین، قد نطق بالقرآن دون الإعراب، لکان من غیر الممکن أن تضیع الروایات الخاصة بذلک، دون أن یبقی لنا آثار منها» واخیراً یری *نولدکه* کذلک، أن «لهجة شدیدة الانحراف عن عربیة النحاة، لا یناسبها مطلقاً بحور الشعر المعروفة»(عبد التواب، ۱۹۹۹م: ۳۸۱؛ النادی، ۲۰۰۸م: ۳۳۹).

۲. یوهان فک(Fuck. J)

هو ابن بلد *نولدکه* وأستاذ العربیة فی جامعتی لیبزیج وهاله. یدافع عن أصالة الإعراب ویعتبر الإعراب من سمة اللغویة العربیة فی کتابه «العربیة»: «لقد احتفظت العربیة الفصحی، فی ظاهرة التصرف الإعرابی، بسمة من أقدم السمات اللغویة التی فقدتها جمیع اللغات السامیة- باستثناء البابلیة القدیمة- قبل عصر نموها وإزدهارها الأدبی. وقد احتدم النزاع حول غایة بقاء هذا التصرف الإعرابی فی لغة التخاطب الحی. فأشعار عرب البادیة- قبل الاسلام وفی عصوره الأولی- ترینا علامات الإعراب مطردة کاملة السلطان. کما أن الحقیقة الثابتة من أن النحویین العرب کانوا- حتی القرن الرابع الهجری والعاشر المیلادی علی الأقل- یختلفون إلی عرب البادیة لیدرسوا لغتهم، تدلّ علی أنّ التصرف الإعرابی کان فی اوج إزدهاره آنذاک. بل لا نزال حتی الیوم نجد فی بعض البقایا الجامدة من لهجات العرب البداة ظواهر الإعراب(فک، ۱۹۸۰م: ۱۵)

۳. برجشتراسر(Gotthelf Bergstrasser)

هو مستشرق ألمانی، برز فی نحو العبریة واللغات السامیة بعامة، وعنی بدراسة اللهجات العربیة، وبقراءات القرآن(بدوی، ۱۹۹۳م: ۸۵) ویؤکد- آراء المستشرقین- *نولدکه* و*فک*-

ويقول: «والإعراب سامی الأصل، تشترک فية اللغة الأكادية، وفی بعضه الحبشية، ونجد آثارا منه فی غيرها أيضا»(برجشتراسر، ۱۹۹۴م: ۱۱۶).

۴. بروكلمان(Brockelmmann)

بذل هذا المستشرق الألمانی جهوداً وافراً فی دراسة اللغات السامية وكتب حولها مقالات وكتابات ضخمة. ولعبت دراسته المقارن فی كتابه «فقه اللغات السامية» بين السامية والعربية، دوراً بارزاً فی التطور المباحث اللسانية العربية. وهو يثبت الحركات الثلاث فی السامية الأولی بقوله: «بينما لا يمكن أن يعزی بكل تأكيد، إلی اللغة السامية الأولی، تلک الفروق التی توجد فی "الجمع"، بين حالة الرفع وحالتی النصب والجر، والتی لا تظهر إلا فی العربی القديمة والبابلية القديمة، فإنّه من الراجح أنّ هذه اللغة، كانت تملک فی المفرد، حالات إعرابية راقية نوعا ما. وانّه ليظن أنّ السامية الأولی، كانت تفرق بين حالة الرفع، بوصفها حالة تحديد للمسند إليه، وربما المسند أيضا، بالنهاية (u)، وحالة الجر بوصفها حالة تحديد للإسم، بالنهاية (i)، وأخيراً حالة النصب بوصفها حالة تحديد للفعل، بالنهاية (a) وإلی جنب ذلک يأتی- دون علاقة بهذا التصريف- حالة الظرفية، بالنهاية (u)، تلک الحالة، التی ربما لا تكون مقصورة، فی السامية الأولی، علی المفرد، ولكنها انتقلت كذلک إلی الجمع والمثنی(بروكلمان، ۱۹۷۷م: ۱۰۰).

هذه الأبحاث الجذرية عن اللغة السامية واللغة العربية، من جانب العلماء المنصفين- المستشرقين- دحضت آراء المستشرقين المنكرين الذين لم يستطيعوا أن يدللوا علی صحة واحدة من دعاويهم. ولم يرد المنكرون للإعراب دراسة النصوص والنقوش والألوح الطينية التی كشفت فی جزيرة العرب علی أيدی الأثريين التی تمكن الباحثون من قرائتها وفهم فحواها. والتعرف علی أيّة لغة من لغات العالم تتطلب دراسة تاريخها وأقدم نصوصها التی تكشف عن أرضها. تعدّ الباحثون لغة هذه الالواح، الأكدية التی أقدم لغة سامية دونت، فقد كتب أقدم نصوصها حوالی سنة ۲۵۰۰ق.م. واحتفظت اللغة الأكادية بعدد من الخصائص المغرقة فی القدم منها ظاهرة الإعراب علی نحو ما نعرف فی إعراب الأسماء فی اللغة العربية، فهناک نهاية إعرابية للرفع وأخری للنصب وثالثة الجر(فهمی حجازی، لا تا: ۱۷۰).

ويذكر *الدكتور فهمى خشيم* فى كتابه «الأكدية العربية» عدة خصائص مشتركة بين الأكادية والعربية التى تدّل على وجود الإعراب بينهما:

١- فى العربية إشارات صائتة للدلالة على الرفع الفاعل والمبتدا ونصب المفعول وجر المضاف إليه، وكذلک الامر فى الأكادية فقد كان لها إعرابها الذى يوضح حالة الاسم سواء كان مذكراً أو مونثاً، مفرداً أو جمعاً... الخ.

٢- عرفت الأكادية فى مراحلها الأولى حالة التثنية بزيادة الف ونون أو ياء ونون(حسب حالة الإعراب) إلى مفرد- كالعربية- ثم تلاشت هذه الحالة إلا فى ما كان زوجياً، مثل «العينين»، «القدمين»، «اليدين»، «الرجلين»، «الاذنين» وهو ما حدث فى الدارجات العربية، إذ تلاشت التثنية فى غير لغة الكتابة.

٣- فى حالة جمع المذكر عرفت الأكادية جمع المذكر السالم كما عرفت جمع التكسير. وهى فى هذا تتفق والعربية.

٤- وكما أن فى العربية اسماء معربة واسماء مبنية، فإن فى الأكادية أسماء يلحقها الإعراب وأخرى مبنية يقدر إعرابها تقديراً(فهمى خشيم، ٢٠٠٥م: ١٢-١٣).

وتغيّر الحركات فى أواخر الكلمات موجود فى كثير من اللغات السامية وخاصة اللغة الأكادية التى من إحدى فروعها. وللسامية الأم- كما قلنا- نظاماً إعرابياً احتفظت به الساميات على درجات متفاوتة: ففى حين احتفظت العربية بهذا النظام على صورته التى نفترض أنها من الأصل السامى الأم، لم يبق منه فى الآرامية والعبرية سوى آثار لا يلحظها إلا الدارس، وذلک لكثرة ما اعترى أصلها من تغير(بعلبكى، ١٩٩٩م: ٥٠- ٤٩). «كتب نصوص الالواح الطينية باللغة الأكدية، التى تشمل اللغتين البابلية والاشورية، تدل على وجود الإعراب فيهما كاملاً. وهذا قانون *حمورابى*(١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) المدون باللغة البابلية القديمة، يوجد فيه الإعراب، كما هو فى اللغة العربية الفصحى تماماً، فالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب وعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة، تماماً كما فى العربية. ولا يقتصر الأمر على ذلک بل، إن المثنى، والجمع، المذكر، يماثلان فى الإعراب المثنى والجمع فى العربية»(السامرائى، لا تا: ٢٠) التى نرى الإعراب بشكل واضح فى اللغة الأكدية، التى استخرجت من الالواح الطينية بعد فتح رموزها:

إعراب الاسم فى اللغة الأكادية نحو كلمة "كلب"

الحالات الإعرابية	الاكادية القديمة	الاكادية الجديدة
الرفع	Kalbum	Kalbu
النصب	Kalbam	Kalba
الجر	Kalbim	Kalb

كما لاحظنا الاسم الأكادى يظهر فى النقوش المختلفة على ثلاثة أشكال، تتحدد بوظيفة الاسم فى الجملة، ويطابق أحد هذه الأشكال حالة الرفع فى العربية ويطابق الشكل الثانى حالة النصب فى العربية، والشكل الثالث حالة الجر. فقد عرفت الأكادية إعراب الاسم على نحو ما عرفته العربية، أى بالرفع والنصب والجر، أما الميم التى تنتهى بها الصيغ المذكورة فى الأكادية القديمة "انظر الجدول" فتقابل نون التنوين فى العربية، أى أن التيميم فى الأكادية يقابل التنوين فى العربية(فهمى حجازى، ١٩٧١م: ١٥٥).

فيما سبق رأينا أنّ *فولرز* و*كاله* و*كوهين* يرون بخلو جميع الهجات الحالية من الإعراب ودقة قواعد الإعراب وتشعبها لا تتكافأ مع كون العرب أميين، وعلى أساس هذه العلل ينكرون نظام الإعراب من اللغة العربية الفصحى. وليس هذا صحيحاً «لأن بعض الهجات العربية الحاضرة مازالت تحتفظ ببعض مظاهر الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف. وأن التطور اللغوى هو الذى اسقط الإعراب، فخلو اللهجات الحالية منه لا ينفى بالضرورة وجوده قديما»(يعقوب، ٢٠١٤م: ١٢٩). وذلك يشبه ما حدث فى بلاد أروبا إذ تطورت اللغة اللاتينية فى الوطن اللاتينى وما يليه من البلاد التى كانت لغة الثقافة فيها هى اللاتينية، ونشأت من ذلك اللغة الايطالية والفرنسية والاسبانية وتباعدت الصلة بين اللاتينية وبين سلالاتها تباعدا مختلفا يقل فى بعضها ويزيد فى بعضها تبعا لما داخلها من آثار الاقوام الذين مزجوا لغاتهم الاجنبية باللغة اللاتينية الاصلية. وقد حدث مثل هذا التطور إلى حد كبير فى اللغة اليونانية اليوم ليست هى اليونانية القديمة وإن كان المصدر لا يزال واحداً. غير أنّ البعد بين العربية الفصحى وبين العربية العامية لم يكن مثل ذلك البعد الذى نشير إليه بين لاتينية أمس وإيطالية اليوم(فهمى حجازى، ١٩٩٧م: ٨). ومن العواملى التى دفعت أيضاً عدة من الغربين اللغويين بإنكار الإعراب عن اللغة العربية جهلهم

بلغاتهم ودراسة جذورها. ومن جانب آخر اكثرهم من الألمانيين «واللغة الألمانية تحتوى على الإعراب، التى فيها تغيير أواخر الاسماء بحسب موقعها... بأكثر مما فى العربية، ففيها الرفع والنصب والجر، وعلامة أخرى للجر بالإضافة... ومنها ما يحتوى على ظواهر لا تقل فى تفاصيلها عن قواعد الإعراب، وذلک مثل نهايات الافعال فى الفرنسية ومع ذلک لم يفكر ابناء تلک اللغات فى التخلص من تلک الضواهر، لأنها من طلب اللغة»(مبروک سعيد، ١٩٨٥م: ٩٠- ٩١) ودقة قواعد الإعراب ونظامه الدقيق وتشعبه ليست دليلاً علمياً بانكاره من اللغة «لأن اللغة ليست درساً يحفظ ولا قصيدة تستظهر، فيبذل المرء فى حفظها بمقدار سعة ذاكرته ونشاطها، ولا هى أحكام نحوية يغالب المرءُ نفسَه على حفظها، فإذا تطاول العهد عليها دون استرجاع صارت هباء منثوراً. للغة هى الكفاية والاداء معاً. ووجود هذين المكونين معاً هو الذى يجعل ابن اللغة لا يحس بمشكلة، مادام يأخذ الإعراب ويمارسه باعتباره جزءً من النظام اللغوى لا باعتباره قواعد تستظهر»(استيتية، ٢٠١٣م: ٥٨).

وإنكار الإعراب من اللغة العربية ينفى بشكل واضح النصوص القديمة والشعر الجاهلى. يقول د. *على ابوالمكارم*: «الشعر الجاهلى أقدم النصوص اللغوية التى بين أيدينا تتجلى فيه علامات الإعراب مطردة كاملة السلطات، وقصائده تدل دلالة واضحة على خضوع كامل لقواعد التصرف الإعرابى، بحيث إذا اضطربت الحركة فيها اضطربت هذه القصائد فنياً، وتخلخلت- فى الوقت نفسه- تراكيبها وتناقضت معانيها وكذلک الامر فى مقطوعات هذا الشعر إذ تقوم الحركة الإعرابية فيها بدور اساسى فى البناء الموسيقى وفى تحديد المعنى الوظيفى جميعاً»(ابوالمكارم، ٢٠٠٧م: ٣٩).

يتبين لنا أنَّ القول بإنكار الإعراب واضح البطلان وآراء المنكرين لا تخلو من الأهداف والدوافع العدوانية والاستعمارية. علاوة على هذا إنكار الإعراب لا محالة سيؤدى إلى إنكار القرآن والرسالة النبوية ايضاً ويهدم الثقافة وحضارة الشعب ويفندها. يقول *احمد فارس الشدياق*: «إن هولاء الاساتيذ(المستشرقين) لم ياخذوا العلم عن شيوخه، وإنما تطفلوا عليه تطفلا، وتوثبوا فيه توثباً، ومن تخرج فيه بشىء فإنما تخرج على القسس، ثم أدخل رأسه فى أضغاث احلام، أو أدخل أضغاث أحلام فى رأسه، وتوهم أنّه يعرف شيئا وهو يجهله، وكل منهم إذا درس فى احدى لغات الشرق أو ترجم شيئًا منها تراه يخبط فيها

خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رفعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمّن فرجح منه المرجوح، وفضل المفضول»(السباعی، لا تا: ١٦-١٧).

تأثيرات قطرب والمستشرقين المنكرين على اللغويين والنحويين العرب المعاصرين

دون شكّ أنّ الإنتاجات التی نشرها المستشرقون خاصة فی مجال اللغة سواء كانت علمية أم غير علمية، أصبحت موضع دارسة الباحثين العرب. وليس بإمكاننا أن ننفی أثر الدراسات التی قام بها المستشرقون على افكار الباحثين العرب وعقولهم، حتی البحوث والآراء الغريبة التی صدرت من جانب المستشرقين- *فولرز* و*كاله* و*كوهين*- المنكرين للإعراب، أدّت إلى أن ينسجوا على منوالهم.

يرد *صبحی الصالح* متعجبا على هولاء الباحثين ويقول: «ولسنا نعجب *لكوهين* وأضرابه إذا ذهبوا إلى الآراء الفاسدة مستدلين بما وَهَی من الأدلة والبراهين وانما نعجب أشد العجب لبعض الباحثين العرب المعاصرين حين يهجمون على النحاة بحق وبغير حق، ويغلون فی اتهاماتهم بوضع تلک القواعد الدقيقة وفرضها على الفصحاء من العرب، والفحول من الشعراء وحتی رجال القراءات»(الصالح، ٢٠٠٩م: ١٢٥-١٢٦) فأما الباحثون الذين تلقفوا آراء المستشرقين المنكرين فهم:

١. إبراهيم أنيس

يُعدّ *إبراهيم أنيس* أول من ذهب من اللغويين العرب الحديثين مذهب *قطرب* كما يقول د. *ابراهيم السامرائی*. ولكن تأثراته من آراء المستشرقين بارز جداً وهو يتكرر رأی فولرز فيما يكتب، بالذات فی الفصل الذی عقده بعنوان «قصة الإعراب» فيقول: «ما أروعها قصة! لقد استحدثت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حكيت وتم نسجها حياكة محكمة فی أواخر القرن الهجری أو أوائل الثانی، على يد قوم من صناع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم فی البيئة العراقية. ثم لم يكد ينتهی القرن الثانی حتی أصبح الإعراب حصناً منيعاً، امتنع حتی على الكتاب والشعراء من فصحاء العربية، وشق اقتحامه إلا على قوم سموا فيما بعد النحاة»(أنيس، ١٩٧٨م: ١٩٨). يری *ابراهيم أنيس* أنّه ليس للحركات الإعرابية مدلول ولا معنی، وإنما هی حركات للتخلص

من التقاء الساكنين عند وصل الكلام، وهذا هو نفس كلام *قطرب*. وأيضا هو ينفى كالمستشرقين المنكرين، وجود الإعراب من اللهجات العربية. وفى قضية الإعراب بالحروف فانه يرجعه إلى اختلاف اللهجات ويعتبر الإعراب بالحروف من نسج النحاة. على أى حال، أنيس نسى أنّ بعض اللهجات العربية الحاضرة، مازالت تحتفظ ببعض مظاهر الإعراب وخاصة الإعراب بالحروف. يمكننا القول بأنّ *إبراهيم أنيس* لم يدرس النصوص ورموز الألواح التى كشفت على أيدى الأثريين بشكل جذرى فى دراساته اللغوية فى اللغة السامية الأمّ. وهذا مما دفعه إلى إنكار ظاهرة الإعراب.

٢. قاسم أمين

هو من أحد الأعلام فى العصر المعاصر، الذى كانت له افكار جديدة. شن حملة على الإعراب و«اتخذ من عدم وجود الإعراب فى بعض اللغات الاروبية وفى التركية حجة يدعم بها رأيه- الإعراب فى رأيه مصدر لكل ما يقع من لحن فى القراءة العربية- والحل فى رأيه «هو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرک بأى عامل من العوامل، بهذه الطريقة وهى طريقة جميع اللغات الفرنكية واللغة التركية أيضا، يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال... الخ بدون أن يترتب عليه إخلال باللغة إذ تبقى مفرداتها كما هى» (مبروک سعيد، ١٩٨٥م: ٩٠). لا يمكننا إنكار تأثير الغربيين على *قاسم أمين*. وهذا مما دفعه إلى دعوته إلى التحرر والتقدم والتخلص من قيود الماضى كما أدت به هذه الزيادة إلى شنّ الحملة على الإعراب أيضا، حيث يعتبره من إحدى العوامل فى تخلّف المجتمع العربى. فلم يتنبّه أن إنكار الإعراب يوقع القارئ العربى فى اللبس عند القراءة.

٣. أنيس فريحة، فؤاد حنا ترزى، داود عبده

أنيس فريحة فى كتابه «تبسيط قواعد اللغة العربية» و*فؤاد حنا ترزى* فى «فى اصول اللغة والنحو» وداود عبده فى «أبحاث فى اللغة العربية» تأثّروا من آراء *قطرب* النحوية واللغوية(يعقوب، ٢٠٠١م: ٢١٩).

إنَّ هولاء الباحثين ينكرون قيمة الدلالية للإعراب فى كتاباتهم ويأتون بدلائل كثيرة لصدق دعاويهم ويجيبون أنّ مرجع المعنى أمران: «أولهما ما يحيط بالكلام من ظروف

وملابسات، تقوم على معرفة الصلة بين المتكلم والسامع، ومعرفة السياق والظروف التی مهّدت للكلام. وثانيهما نظام الجملة العربية والموضع الخاص لكل معنی من المعانی اللغوية»(يعقوب،۲۰۱۱م: ۲۲۰-۲۲۱؛ يعقوب ۲۰۱۴م: ۱۳۵).

اضافة على الدلائل التی قمنا بها آنفا فی قيمة الدلالية للإعراب وانّ اللغة العربية ينتفی كيانه دون الإعراب، يجيب *يعقوب* على دعاوی هولاء المنكرين: «انّ العودة إلى ملابسات القول وظروفه ومعرفة الصلة بين القائل والسامع لإدراک الفعل من الاسم، والتعجب من الاستفهام، فيها تعسف كثير. فالبيت الواحد من الشعر القديم سيضطرک بغية تفسيره إلى العودة إلى أكثر من كتاب لمعرفة الظروف والملابسات التی أحاطت بقول الشاعر؛ أما الإعراب فيعفينا من هذا كله. وانّ القول بأنّ الذی يحدد المعانی هو نظام الجملة والموضع الخاص، فيه كثير من المبالغة، إذ ليس فی اللغة العربية «حجرات» تسكن فی كل منها حالة من حالات النحو، يكون للفاعل موضع، وللفعل موضع آخر، وللمفعول موضع ثالث» (يعقوب، ۲۰۱۱م: ۲۲۳-۲۲۴).

نتيجة البحث

أما النتائج التی توصلنا إليها فهی:

يعد قضية الإعراب من القضايا الهامة فی اللغة العربية، التی تدور رحی النحو حولها. برز اول خلاف حول هذه القضية من قبل *قطرب* الذی نفی قيمة الدلالية لهذه الحركات الثلاث وأن هذه العلامات لم تكن إلا لوصل الكلام. ولكن غاب عن الدرس النحوی رأيه. وفی هذين القرنين الأخيرين، فان دراسة اللغة العربية من جانب المستشرقين، الذين دفعتهم الاستعمارية والعنصرية أن يدرسوا آراء *قطرب* ويؤيدوها، وينكروا الدراسات العظيمة والغنية التی كتبت عن اللغة العربية خاصة فی النحو طوال تلک الفترة من جهود اللغويين العرب أمثال *سيبويه* وغيره. ولكن الأمر لا ينتهی هنا، بل ظهرت تأثيراتهم على اللغويين العرب المحدثين أيضاً. مع كل الجهود التی وقفت حول إنكار هذه القضية، إلا انها باءت بالفشل. والدراسات الجذرية التی قام بها الباحثون أبطلت آراء المنكرين واثبتت وجود ظاهرة الإعراب فی اللغة العربية بأنها ذات كيان إعرابی منذ نشأته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبن جنی، أبوالفتح. لا تا، **الخصائص**، المجلد الاول، تحقيق محمد علی النجار، بيروت: دار الهدی للطباعة والنشر.

إبن يعيش، يعيش بن علی. لا تا، **شرح المفصل للزمخشری**، بيروت: عالم الكتب.

أبوالمكارم، علی. ۲۰۰۷م، **الظواهر اللغوية فی التراث النحـوی**، القـاهرة: دار غريـب للطباعـة والنشـر والتوزيع.

أحمد بن فارس، ابی الحسن. ۱۹۹۷م، **الصاحبی فی فقه اللغة العربية ومسائلها**، تعليق أحمد حسـن بسج، ط۱، بيروت: دار الكتب العلمية.

أسعد النادی، محمد. ۲۰۰۸م، **فقه اللغة مناهله ومسائله**، بيروت: المكتبة العصرية.

أنيس، ابراهيم. ۱۹۶۵م، **فی اللهجات العربية**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، ابراهيم. ۱۹۷۸م، **من أسرار اللغة**، ط۶، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

بدوی، عبدالرحمن. ۱۹۹۳م، **موسوعة المستشرقين**، ط۳، بيروت: دار العلم للملايين.

بديع يعقوب، إميل. ۲۰۰۱م، **فصول فی الفقه اللغة العربية**، ط۱، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب.

بديع يعقوب، إميل. ۲۰۱۴م، **فقه اللغة العربية وخصائصها**، ط۱، بيـروت: المؤسسـة اللبنانيـة للكتـاب الاكاديمی.

برجستراسر. ۱۹۹۴م، **التطور النحوی للغـة العربيـة**، أخرجـه وعلـق عليـه رمضـان عبـد التـواب، ط۲، القاهرة: مكتبة الخانجی.

بروكلمان، كارل. ۱۹۷۷م، **فقه اللغات السامية**، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض: لا نا.

حسن، عباس. لا تا، **النحو الوافی**، المجلد الاول، ط۳، مصر: دار المعارف.

الحمد، محمد بن ابراهيم. ۲۰۰۵م، **فقه اللغة مفهومه، موضـوعاته، قضـاياه**، ط۱، الريـاض: دار ابـن خزيمة.

الدانی، أبو عمرو عثمان بن سعيد. ۱۹۹۷م، **المحكم فی نقـط المصـاحف**، تحقيـق عـزة حسـن، ط۱، بيروت: دار الفكر.

الزجاجی، أبوالقاسم. ۱۹۸۲م، **الإيضاح فی علل النحو**، تحقيق مازن المبارک، ط۴، لا مک: لا نا.

الزجاجی، أبوالقاسم. ۱۹۸۷م، **الجمل فی النحو**، تحقيق علی توفيق الحمد، ط۲، لا مک: لا نا.

الزيات، أحمد ومصطفی، ابراهيم. ۱۳۸۶ش، **المعجم الوسيط**، ط۶، طهـران: مؤسسـة الصـادق للطباعـة والنشر.

السامرائی، فاضل صالح. لا تا، **معانی النحو**، الجزء الاول، القاهرة: شركة العاتک لصناعة الإعراب.

السباعی، مصطفی. لا تا، **الاستشراق والمستشرقون**، لا مک: دار الوراق للنشر والتوزيع.
سيبويه، ابو البشر. لا تا، **الكتاب**، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، المجلد الثانی، ط۲، بيروت: عالم الكتب.
السيوطی، جلال الدين. ۱۹۸۴م، **الأشباه والنظائر**، المجلد الأول، ط۲، بيروت: دار الكتب العلمية.
شريف استيتية، سمير. ۲۰۱۳م، **الإعراب فی العربية صوتياً ودلالياً بين القديم والحديث**، الاردن: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية- الحولية الرابعة والثلاثون.
الصالح، صبحی. ۲۰۰۹م، دراسات فی **فقه اللغة**، ط۳، بيروت: دار العلم للملايين.
الصغير، محمد حسن علی. ۱۹۹۹م، **المستشرقون والدراسات القرآنية**، الطبعة الأولی، بيروت: دار المورخ العربی.
عبد التواب، رمضان. ۱۹۹۹م، **فصول فی فقه اللغة**، ط۶، القاهرة: مكتبة الخانجی.
العقيقی، نجيب. **المستشرقون**، ۱۹۶۵م، ط۳، مصر: دار المعارف.
علی، فهمی خشيم. ۲۰۰۵م، **الأكادية العربية**، ط۱، القاهرة: مركز الحضارة العربية.
فک، يوهان. ۱۹۸۰م، **العربية**، ترجمة وتعليق رمضان عبد التواب. مصر: مكتبة الخانجی.
فهمی حجازی، محمود. ۱۹۷۱م، **علم اللغة العربية**، المجلد الاول، بيروت: لا نا.
فهمی حجازی، محمود. ۱۹۹۷م، **دراسات لغوية وأدبية**، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
فهمی حجازی، محمود. لا تا، **مدخل إلی علم اللغة**، القاهرة: دار قباء.
القرطبی، ابوالعباس أحمد بن عبدالرحمن بن مضاء. ۲۰۰۷م، **الرد علی النحاة**، تحقيق محمد حسن اسماعيل، الطبعة الأولی، بيروت: دار الكتب العلمية.
مبروک سعيد، عبد الوارث. ۱۹۸۵م، **فی اصلاح النحو العربی**، الطبعة الأولی، الكويت: دار القلم.
مصطفی، ابراهيم. ۱۹۹۲م، **إحياء النحو**، الطبعة الثانية، القاهرة: لا نا.
معاليقی، منذر. ۱۹۹۷م، **الإستشراق فی الميزان**، الطبعة الأولی، بيروت: المكتب الاسلامی.
منير بعلبكی، رمزی. ۱۹۹۹م، **فقه العربية المقارن**، بيروت: دار العلم للملايين.